وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة التاسعة عشرة

علاقة الأمة بالقرآن

عباد الله ما زلنا مع حبيبنا، وعظيمنا وقدوتنا، وقائدنا رسول الله ﷺ، مع سيرته العطرة، مع حياته الزكية، فَبَيْنَ نفحات العطر، وومضات الإشراق، نستكمل سيرة عظيم الأخلاق سيدنا محمد ﷺ.

تكلمنا في الخطبتين الماضيتين عن تاريخ القرآن الكريم وعن الإعجاز اللغوي الذي تحدى به العرب، والإعجاز العلمي الذي تحدى به جميع الخلق إلى يوم القيامة، وفي هذه الخطبة نتحدث عن علاقة الأمة بالقرآن الكريم.

والسؤال الآن عباد الله: ما هي علاقتنا كأفراد ومجتمعات بالقرآن الكريم؟

هل حفظنا آياته؟! هل تلوناه حق تلاوته؟! هل تدبرنا معانيه؟!

هل خشعنا في قراءته؟! هل عملنا به؟! هل طبقنا حرامه وحلاله؟!

عباد الله، سيظل حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن ما دمنا نتلوه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مبهمة لا علاقة لها بواقع البشرية، بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسًا، ووقائع، وأحداثًا حية: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان: ٣٠].

فتعالوا معي ننظر إلى حلاوة، وفضائل، وعظمة القرآن العظيم؛ ليستقر ذلك في قلوبنا، فنعيش معه بروحنا، وسمعنا، وأبصارنا، وأركاننا، هذا الكتاب العظيم سماه الله تعالى نورًا، وشفاء، وروحا، ويسره لنا، يقول تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[المائدة: ١٥]، ويقول جل شأنه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[الشورى: ٥٢]، فقد سمى الله كتابه روحًا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ووا عجباه الناس يبكون على من مات جسده، ولا يبكون عن من مات قلبه!!

ويقول تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء: ٨٢]، ويقول ابن كثير رحمه الله: "أَيْ: يُذْهِبُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضٍ، مِنْ شَكٍّ، وَنِفَاقٍ، وَشِرْكٍ، وَزَيْغٍ، وَمَيْلٍ، فَالْقُرْآنُ يَشْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ أَيْضًا رَحْمَةٌ يَحْصُلُ فِيهَا الْإِيمَانُ، وَالْحِكْمَةُ، وَطَلَبُ الْخَيْرِ وَالرَّغْبَةُ فِيهِ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَهُ، وَاتَّبَعَهُ"[1].

والقرآن كله شفاء لا سيما سورة الفاتحة، يقول ابن القيم بعد أن بين اشتمال الفاتحة على شفاء القلوب والأبدان: «فَإِنَّ مَدَارَ اعْتِلَالِ الْقُلُوبِ وَأَسْقَامِهَا عَلَى أَصْلَيْنِ: فَسَادِ الْعِلْمِ، وَفَسَادِ الْقَصْدِ. وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا دَاءَانِ قَاتِلَانِ، وَهُمَا الضَّلَالُ وَالْغَضَبُ، فَالضَّلَالُ نَتِيجَةُ فَسَادِ الْعِلْمِ، وَالْغَضَبُ نَتِيجَةُ فَسَادِ الْقَصْدِ، وَهَذَانَ الْمَرَضَانِ هُمَا مِلَاكُ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ جَمِيعِهَا، فَهِدَايَةُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ تَتَضَمَّنُ الشِّفَاءَ مِنْ مَرَضِ الضَّلَالِ ....، وَأَمَّا تَضَمُّنُهَا لِشِفَاءِ الْأَبْدَانِ فَنَذْكُرُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ الرَّجُلُ..»[2]، فَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ حُصُولَ شِفَاءِ هَذَا اللَّدِيغِ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ عَلَيْهِ، فَأَغْنَتْهُ عَنِ الدَّوَاءِ، وَرُبَّمَا بَلَغَتْ مِنْ شِفَائِهِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ الدَّوَاءُ، هَذَا مَعَ كَوْنِ الْمَحَلِّ غَيْرَ قَابِلٍ، إِمَّا لِكَوْنِ هَؤُلَاءِ الْحَيِّ غَيْرَ مُسْلِمِينَ، أَوْ أَهْلَ بُخْلٍ وَلُؤْمٍ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا»[3].

---

[1] تفسير ابن كثير رحمه الله (١١٢/٥).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٢٧٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (٢٢٠١).

[3] بتصرف من مدارج السالكين (٧٦/١ - ٧٩/١).

ويسره الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: **"لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَسَّرَهُ عَلَى لِسَانِ الْآدَمِيِّينَ؛ مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ اللَّهِ ﷻ"**[1]، كل هذا من فضائل القرآن العظيم.

الآن ننظر هل نحن هجرنا القرآن أم لا؟ هجرة القرآن ليس معناها أن تترك المصحف فقط، فهجر القرآن أنواع؛ فمنه هجر التلاوة، أي: تجعل المصحف بركة في البيت وقد علاه التراب، لا تفتحه إلا في أوقات محددة أو في رمضان، أو تضعه في السيارة، هذا هو هجر التلاوة، مع أن النبي ﷺ بين أن بكل حرف حسنة، فقال ﷺ: **"مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ"**[2].

وبين أن القرآن يأتي شفيعًا يوم القيامة لقوله ﷺ: **"اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ"**[3].

ومن الناس من يتلوه ولكن يهجر تعلمه، فيقرأه قراءة غير صحيحة وقد قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[المزمل: ٤]، أي أن الله تعالى أمرنا أن نقرأ القرآن بطريقة صحيحة لأنه كلام الله، فالقرآن ليس مجلة وليس كتابا عاديا، يقول الإمام ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزل ... وهكذا منه إلينا وصل

وهو أيضا حلية التلاوة ... وزينة الأداء والقراءة

وهو إعطاء الحروف حقها ... من كل صفة ومستحقها

---

[1] تفسير ابن كثير رحمه الله (٤٧٨/٧).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٩١٠)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي رحمه الله (٢٩١٠).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨٠٤).

إذن فالقرآن له قراءة وله تلاوة ليس كما نقرأ الصحف والمجلات، لذلك لا يقرأ القرآن إلا على حفاظه، فالله أقرأ جبريل عليه السلام، وجبريل أقرأه لمحمد ﷺ وهكذا حتى وصل إلينا. وقيل يؤخذ ألفاظ القرآن من الحفاظ الذين لهم سند موصول بالنبي ﷺ، أما معاني القرآن وتفسيره يؤخذ ممن يعمل به.

فالقرآن تؤخذ ألفاظه من حفاظه، وتؤخذ معانيه ممن يعانيه

وهجر التعلم يحرم صاحبه من أجر عظيم، يقول النبي ﷺ: "**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**"[1]، ويقول النبي ﷺ: "**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**"[2].

ومن أنواع هجر القرآن: هجر حفظ القرآن الكريم، ألم تعلم أن الله يأتي بحافظ القرآن ويقول له: "**اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**"[3]، يقول الألباني رحمه الله: "**إن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقارئ: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي الكتاب**"[4].

وكذلك يوجد هجر آخر، وهو: هجر تدبر القرآن، سيظل حاجز سميك بيننا وبين القرآن ما دمنا نتلوه مجرد ترانيم تعبدية ليس لها من واقع الحياة شيء، مع أن القرآن نزل يواجه نفوسا ويواجه أحداثا، تسمع القرآن كأنك لا تسمع شيئا، فعليك بتدبر القرآن عن طريق معرفة معاني كلمات القرآن وقراءة التفاسير.

ثم نأتي إلى أعظم أنواع الهجر، وهو: هجر العمل بالقرآن، يقول النبي ﷺ: "**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ، وَضَرَبَ**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٣٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (٧٩٨).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٢٧).

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (١٤٦٤)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله (١٤٦٤): حسن صحيح.

[4] أصل صفة صلاة النبي ﷺ، للألباني رحمه الله (٥٦٣/٢).

لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا"[1].

أيها الإخوة المسلمون عباد الله العمل العمل بالقرآن، هذه هي الآفة العظيمة التي أصابت كل من يرتل القرآن ومن لا يرتل، ومن يحفظ ومن لا يحفظ، ومن يتدبر القرآن ومن لا يتدبر، كثير من الناس هجروا العمل بالقرآن.

وكيف نهجر العمل بالقرآن؟ كيف لرجل حافظ للقرآن منذ نعومة أظفاره يحفظ سورة الإخلاص ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص: ١]، أي واحد لا شريك له، ولا معبود غيره، ثم تراه يتقرب لغير الله، وتراه يذبح لغير الله؟!

أني لإنسان حفظ قوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤ - ٥]، وهذا الويل واد في جهنم، ثم تجده يؤخر الصلاة عن وقتها، ويتكاسل، ويتهاون؟! كم منا لم يصل الفجر في موعده؟

أني لرجل حفظ وتلا قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾[الحجرات: ١٢]، ثم هو يأكل لحوم الناس؟!

كيف لرجل قرأ قوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[البقرة: ٨٣]، ثم هو يعبس في وجوههم ويتكلم معهم بكلام شديد لا يرضي الله؟!

أني لامرأة قرأت قوله تعالى: ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[البقرة: ٢٢٨]، ثم هي تناطحه، زوجًا كان، أو أخًا، أو أبًا؟!

وأني لزوج قرأ قوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾[النساء: ١٩]، ثم يعاملها معاملة البهائم؟!

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨٠٥).

أني لامرأة قرأت قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ثم تظهر جسدها للبشر، عربهم وعجمهم، مسلمهم وكافرهم؟!

أني لمسلم قرأ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[الحج: ٣٠]، ثم ترى صفحات من القرآن، أو الكتب، أو الجرائد في الأرض، وقد اتخذها الناس مفرشًا للنوم، أو لوضع أحذيتهم وأغراضهم فيها، ولا تخلو هذه الصفحات من آية أو على الأقل اسم الله تعالى.

عباد الله يقول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ﴾[سبأ: ١٣]، ونحن لما تركنا تدبر القرآن لم نفهم هذا المعنى، أتعلمون ما معنى هذه الآية؟ معناها أن شكر النعمة بالعمل، ليس فقط بالقول، فعندما يمن الله عليك بالمال لا يكفيك أن تقول: الحمد لله، بل تشكر الله بهذا المال بأن تنفق بعضه على الفقراء والمساكين، ولو لم نفعل ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم: ٧].

أقول هذا لكي أصل إلى أمر آخر وهو ما يحدث الآن في البلاد في أمر النعم التي كانت موجودة ثم يلوح في الأفق أنها سوف تزال، عندما قطع التيار الكهربائي لفترة طويلة، ونحن نعلم أن لكل شيء سببا، لكني الآن أتكلم عن سبب السبب، قد يكون سبب انقطاع الكهرباء سببه الإهمال أو غير ذلك، ولكني أتحدث عن سبب هذا السبب،

والسبب هو ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١]، هل نحن شكرنا نعم الله في ما مضى حق شكره في الضوء والنور؟! فالكهرباء تستخدم في كل شيء، ومن هذه الأشياء شبكة الإنترنت، فهل من يشاهدون شبكة الإنترنت شكروا الله وهم يدخلون على ما حرم الله ﷻ؟! ومن يشاهدون التلفاز هل شكروا الله تعالى عندما كان يشاهدون الراقصات وغير ذلك ممن يغضب الله؟! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، أقول: إن لكل نعمة حمدا باللسان وشكرا بالعمل.

وأقول إن هجر العمل بالقرآن هو الأمر الذي فيه ما فيه من الفساد، وفيه ما فيه من الضلال.

واسمعوا عباد الله معي هذه الأمثلة للذين يعملون بالقرآن ويتدبرونه:

عبد الله بن حنظلة رحمه الله: هذا من السلف الصالح، وكان مريضا فسمع قارئًا يقرأ: ﴿ **لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ** ﴾[الأعراف: ٤١]، **فبكى حتى ظنوا أن نفسه ستخرج، ثم قام فقيل: يا أبا عبد الرحمن، اقعد، فقال: منع مني ذكر جهنم القعود، ولا أدري لعلي أحدهم»**[1].

وعمر بن الخطاب ﷺ: «**خَرَجَ يَعِسّ الْمَدِينَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَمَرَّ بِدَارِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَوَافَقَهُ قَائِمًا يُصَلِّي، فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ قِرَاءَتَهُ فَقَرَأَ: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾** [الطور: ١ – ٨]، **قَالَ: قَسَمٌ –وَرَبِّ الْكَعْبَةِ– حَقٌّ. فَنَزَلَ عَنْ حِمَارِهِ وَاسْتَنَدَ إِلَى حَائِطٍ، فَمَكَثَ مَلِيًّا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنْزِلِهِ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَعُودُهُ النَّاسُ لَا يَدْرُونَ مَا مَرَضُهُ»**[2].

---

[1] أسد الغابة (٢١٩/٣)، لابن الأثير رحمه الله.

[2] تفسير ابن كثير رحمه الله (٤٣٠/٧).

وكان الفضيل بن عياض له ابن اسمه علي كان يتأثر تأثر شديدا بالقرآن، فإذا بمرة يقرأ الفضيل في الصلاة فقرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١.....﴾ **"فسقط عَلِيٌّ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ"**[1].

وابن عياش أثناء مرضه كانت أخته تبكي عليه فقال لها: «**لَا تَبْكِي وَأَشَارَ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْبَيْتِ فَقَدْ خَتَمَ أَخُوكِ فِي تِلْكَ الزَّاوِيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفِ خَتْمَةٍ**»[2].

وغيرهم غيرهم كثير بل إنهم من رجائهم ينظمون الشعر والكلام العذب بحسب هذا الرجاء وحسب هذا الفهم، فمنهم من قال عن الذي عصى الله ثم تاب:

قال أبو المنصور البغدادي رحمه الله:

يَا من عدا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفْ ... ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفْ

أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ: ... إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ[3]

والحجاج بن يوسف الثقفي، كان ظالمًا، وكان يحفظ القرآن ويعظم أهل القرآن، وبسبب هذا نفس الله عليه عند موته، وقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّ النَّاس يَقُولُون: إِنَّكَ لَنْ تَغْفِرَ لِي، فَكَان عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ تُعْجِبُهُ هَذِهِ الكَلِمَة، بَلْ كَانَ يَغْبِطُهُ عَلَيْهَا**»[4].

ثم أختم أيها الإخوة المسلمون وأبين ما هو مدى العمل بالقرآن وعدم هجر القرآن، القرآن الكريم ليس فقط كما نقرأ برواية حفص، بل له روايات كثيرة، بل النبي ﷺ قرئ عليه القرآن بهذه الروايات، وكل قراءة لها روايات ولها أئمة عرفوا بها كحفص، وحمزة ابن حبيب، فاسمع معي رؤية رآها حمزة بن حبيب وهو من كبار القراء السبع:

عن خلف بن هشام: «**قال لي سليم بن عيسى: دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يمرغ خديه في الأرض ويبكي، فقلت: أعيذك بالله، فقال: لماذا استعذت؟**

---

[1] سير أعلام النبلاء (٤٠٧/٧)، للذهبي رحمه الله.

[2] حلية الأولياء (٣٠٤/٨)، لأبي نعيم رحمه الله.

[3] الإتقان في علوم القرآن (٣٨٦/١)، للسيوطي رحمه الله.

[4] إحياء علوم الدين (٤٨١/٤)، للغزالي رحمه الله.

رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت وقد دعي بقراء القرآن، فكنت فيمن حضر، فسمعت قائلًا يقول بكلام عذب: لا يدخل علي إلا من عمل بالقرآن، فرجعت القهقرى فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟ فقلت: لبيك داعي الله، فبدرني ملك فقال: قل: لبيك اللهم، فقلت: لبيك، كما قال لي، فأدخلني دارًا فسمعت فيها ضجيج القرآن فوقفت أرعد، فسمعت قائلاً يقول: لا بأس عليك، ارق واقرأ، فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من در أبيض، دفتاه من ياقوت أصفر، مراقيه من زبرجد أخضر فقال لي: ارق واقرأ، فرقيت فقال لي: اقرأ سورة الأنعام، فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ، حتى بلغت الستين آية فلما بلغت: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦١]، قال لي: يا حمزة، ألست القاهر فوق عبادي؟ فقلت: بلى، قال: صدقت، اقرأ، فقرأت حتى ختمتها ثم قال لي: اقرأ، فقرأت الأعراف حتى بلغت آخرها فأومأت إلى الأرض بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذه القراءة؟ فقلت: سليمان، قال: صدقت، من أقرأ سليمان؟ قلت: يحيى، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟ فقلت: على أبي عبد الرحمن السلمي، قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمي، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟ فقلت: ابن عم نبيك علي، فقال: صدق علي، فمن أقرأ عليًا؟ قلت: نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، قال: ومن أقرأ نبيي؟ قال: قلت: جبريل عليه السلام، قال: ومن أقرأ جبريل؟ قال: فسكت، فقال لي: يا حمزة، قل: أنت، قال: فقلت: ما أجسر أن أقول، فقال: فقلت: أنت، قال: صدقت يا حمزة، وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن، يا حمزة القرآن كلامي، وما أحب أحدًا كحبي أهل القرآن، ادن يا حمزة، فدنوت فضمخني بالغالية، وقال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذاك بنظرائك ممن فوقك ومن دونك، ومن أقرأ القرآن كما أقرأته لم يرد بذلك غيري، وما خبأت لك يا حمزة

عندي أكثر، فأعلم أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المصطفون الأخيار، يا حمزة، وعزتي وجلالي لا أعذب لسانًا تلا القرآن بالنار، ولا قلبًا وعاه، ولا أذنًا سمعته، ولا عينًا نظرته.

فقلت: سبحانك سبحانك أي رب، فقال: يا حمزة أين نظار المصاحف؟ فقلت: يا رب أفحفاظهم؟ قال: لا، ولكني أحفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة، أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب»[1].

اللهم صل وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ

[1] صفة الصفوة (٩١/٢) بتصرف يسير جدا، لابن الجوزي رحمه الله.